



# مدى

من زمن التوهج



ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة



للإعلام والثقافة والفنون

[www.almadasupplements.com](http://www.almadasupplements.com)

رئيس مجلس الإدارة  
رئيس التحرير

مخزي لريم

العدد (4933) السنة الثامنة عشرة  
الخميس (29) نيسان 2021

## مئوية

# ناظم الغزالي

1921 - 1963

« 4

صوت العراق

« 7

« 6

عندما ناحت حماسة ناظم الغزالي

ما لم يُرو عن حياة ناظم الغزالي

# ناظم الغزالي: آخر المغنين العباسيين؟

طريق بغداد وواسط راه المبرد، صاحب الكامل في اللغة والأدب، مع صحب له مسافرين، فأنشدهم من شعره وطلب رأيهم: "ما أنأخوا قبيل الصبح عيسهمو - وحملوها وسارت بالدمى الإبل" الخ. ويقف ابن عبدربه عند هذا الحد، ولكن التقط مؤلف "ألف ليلة وليلة"، كما يقول أحمد الواصل، هذه الأبيات "فوظفها ضمن القصائد المنشدة في لياليه، ولعلها انتشرت بين مغنيات تلك الفترة، خاصة مؤنسة جارية بنت المهدي التي يذكر أنها شذت للشاعر قصائده، ويتواتر عند مغني المقام العراقي هذا النص الشعري مضافاً إليه حواراً بين الشاعر وراهب الدير، وهو الجزء الذي سجله مصطفى أمين أحد شيوخ الإنشاد المصريين". وقد غناها ناظم الغزالي أيضاً. وفي ظني فإن الغزالي يتميز بشكل فائق للعادة من بين من غنى القصائد المذكورة المعروفين منذ نهاية القرن التاسع عشر، فهو من الغرادة والسيطرة على المخارج الصوتية للحروف وإدغامات بعضها والعمق والمرونة اللحنية (لأنه لا "يرتلها" وفق قوانين المقام البغدادي فقط بل "يغنيها" بالأحرى في إطار المقامات المعروفة، استمع لأدائه لـ "وقائله لما أردت وداعها" من مقام الحويز اوي الكئيب، وبعدها "فوق النخل" من الحويز اوي نفسه وفق الغزالي). أن أداءه لا يشابه في تقديري أداء من غنى المقاطع الشعرية الفصحى تلك نفسها. وقد يكون بذلك يتابع، بطريقة ما، لحون المغنين العباسيين التي يدونها الأصفهاني، ولعلنا، وهذه محض فرضية، نتوصل عبر الغزالي، إلى فهم بعض مقاصد الأصفهاني في كتابه "الأغاني" وهو يشير إلى لحون مختلفة وأداءات متباينة للشعر نفسه. أي لحون تلك الأشعار التي يُشار لها تحت (صوت)، ويُعطي لكل صوت سمات خاصة كقوله على سبيل المثال: "الغناء بالملك خفيف ثقيل بالبصر في مجراها" و "الغناء لابن سريج رمل بالسبابة" و "الغناء لابن سريج ثقيل أول بالوسطى في مجراها وفيه لمعبد لحن من خفيف الثقيل الأول بإطلاق الوتر في مجري الوسطى". وفي ظني فإن هذه الرموز الأصفهانية التي لم تحل تماماً، يمكن لغناء الغزالي حلها بجهد المتخصصين.

هل ناظم الغزالي هو آخر المغنين العباسيين؟

نشر هذا المقال في جريدة تاتو

## شاكر لعبيي

هذه المقطعات الشعرية، في البدء، من النمط والأسلوب نفسه الذي يذكر لنا أبو الفرج الأصفهاني في كتابه "الأغاني" أنها كانت من (الأصوات) المغناة (الألحان) في العصر العباسي وما قبله، بل أن أحدها كان مما يُتغنى به يومها دون شك، فقد جاء في كتاب الأصفهاني: "قدم تاجر إلى المدينة يحمل من خمر العراق فباعها كلها إلا السوداء، فشكا إلى الدارمي [ربيعه بن عامر التميمي، الشهير بمسكين الدارمي] ذلك وكان الدارمي قد نسك وتعب، فعمل أبيات وأمر من يغني بهما في المدينة:

قل للمليخة في الخمار الأسود - ماذا فعلت بزاهد متعب

قد كان شمر للصلاة إزاره - حتى قعدت له بباب المسجد قيل فشاع الخبر في المدينة أن الدارمي رجع عن زهده وتعشقه صاحبة الخمار الأسود فلم يبق في المدينة مليحة إلا اشترت لها خماراً أسود فلما أنفذ التاجر ما كان معه رجع الدارمي إلى تعبده وعمد إلى ثياب نسكه فلبسها.

جميع المقاطع المذكورة تمت للعصر العباسي بصله أو ببعض الصلة فإن "عيرتني بالشيب وهو وقار - ليتها عبرت بما هو عار" هو من شعر المستنجد (١١٢٤ - ١١٧٠م)، و "أقول وقد ناحت بقربي حمامة" و "رُميت بسهم اللحظ أم عقق الدهر" لأبي فراس الحمداني، و "يارب إن عظمت ذنوبي كثرة" لأبي نواس وتجد قصتها مذكورة في ملحق كتاب الأغاني (أخبار أبي نواس). ومن الواحدين الذين تغنى المغنون بشعرهم (ماني الموسوس)، ولعل مما كان يُتغنى به من شعره:

لما أنأخوا قبيل الصبح عيسهمو = وحملوها وسارت بالدجي الإبل وودعت ببنان عقدها عنم = ناديت: لا حملت رجلاك يا جمل يا حادي العيس عرج كي أودعهم = يا حادي العيس في ترحالك الأجل

وهذا مذكور في كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه الذي يضيف أن الشاعر قضى نهاية عمره في دير رهبان، يسمى دير هرقل، بين



فجأة نتوقف أمام سرّ الفتنة والغرادة (نقول الفرادة) في تقديم ناظم الغزالي لحنياً أبيات الشعر العربي الفصحى (نقول الفصيح) في مطالع أغانيه الشهيرة: "قل للمليحة في الخمار الأسود" و "عيرتني بالشيب وهو وقار" و "سمراء من قوم عيسى" و "أقول وقد ناحت بقربي حمامة" و "أي شيء في العيد أهدي إليك" و "رُميت بسهم اللحظ أم عقق الدهر" و "تيهي على أرج الورود" و "يارب إن عظمت ذنوبي كثرة" و "يا حادي العيس"، و "قائله لما أردت وداعها" وهذه أبيات للبهاء زهير.



# القبانجي وخبر رحيل ناظم الغزالي



القطان ومحمد كريم، ومضى الموكب الطويل من دار الفقييد الى مئواه الأخير عن طريق ساحة الأندلس فالسعدون فساحة الطيران فجسر الجمهورية فجاناب الكرخ فدار الإذاعة فساحة مطار بغداد ثم مقبرة الشيخ معروف وسط موكب كبير من المواطنين الذين أفجعتهم المصيبة بفقدته على هذه الصورة، وبعد ان صلى على جثمانه وروي التراب وسط الدموع والبكاء من ألوف المشيعين، وبعد تلاوة الفاتحة ألقى الأستاذ الكبير محمد القبانجي كلمة مؤثرة قال فيها:

ظهرنا للوجود وكل شيء  
له بدء لعمرك وانتهاء  
لئن ذهبنا او ائلنا نهابا  
فأولنا وآخرنا سراء

- أخي الحبيب ناظم: لا تسأل عن عظيم كبري حين علمت بخبر وفاتك على حين غرة.. فكننت والله.. لا أعلم أفي يقظة أنا أم في منام، ولا تسأل عما عراني من الدهشة والانقباض، وما ألم بجوانحي من الكدر فقد كانت ساعة لا ترى فيها عيناً باكية وقلباً خافقاً وكبداً تنقطر من الأسى، فقله تلك الساعة ما أمرها على القلب بكيت.. نعم بكيت أنا وإخوانك الأوفياء الأصفياء عندما رأيناك مسجى على فراش الموت والابتسامة على شفئك.. ان صوتك الحنون ينبعث مع الأثير الصامت وكأنك تقول لا نبكوا علي أيها الأخوان فان كنت سأغيب عنكم بجسدي فأنتي لن أغيب عنكم بروحي.. نعم بكينا ولو كان البكاء يجدي نفعاً لبللنا الثرى بدمعنا وأضفنا اليه من دم القلوب والأحداق، لقد كنت وإخوانك نرغب مجيئك بعد غياب طويل عن أرض الوطن، وبعد هذه السفارة التي كنت فيها على ميعاد مع الموت والتي كنت فيها نجماً ساطعاً بفنك وأدبك في الأقطار العربية، لقد كنت مثلاً للمغني الأديب الناجح، وقد أبيت ان ينعتوك بما أنت أهل له تواضعاً واعترافاً بأستاذك المفجوع بك، فقد كنت والله ترتفع باعترافك وتسمو بإنصافك.

هذا اليوم الثلاثاء.

وفي الساعة السابعة من صباح يوم الثلاثاء ذهب لفيق من أصدقاء الفقييد الى مقر مديرية الطب العدلي حيث نقلوا جثمانه الى داره عن طريق قناة الجيش فشارع فلسطين، فشارع مستشفى دار السلام ثم داره حيث وضع هناك وسط الدموع والتوجع وبدات وفود المعزين تتوالى على دار الفقييد.

وبدأت ارتال السيارات في الشارع الكبير الذي يقع فيه دار الفقييد، والشوارع الكثيرة المحيطة حيث ازدحمت بها على سعتها، وعند الساعة العاشرة تماماً وضع الجثمان على سيارة مكشوفة يحيط بها عدد من الفنانين في مقدمتهم المرحوم علاء كامل وخزعل مهدي ومحمود

بدوره الوفاة.

ويضيف الأستاذ القبانجي:

- ان الغزالي كان يرتدي شدداشة وكان يبذو لي مبتسماً، بعد نكث تم نقل جثة المرحوم ناظم الغزالي الى معهد الطب العدلي بناء على مشورة بعض الأصدقاء، وبقيت الجثة حتى اليوم الثاني.

وقد أجرى الدكتور عبد الصاحب علق أحد أطباء معهد الطب العدلي عملية تشريح الجثة وقال: ان عملية التشريح لجثة الفنان ناظم الغزالي استغرقت نحو الساعة ولا استطيع التحدث بشيء الآن حتى تتم معرفة نتائج الفحوص التي يجريها المعهد لمعرفة أسباب الوفاة. وقال الدكتور علق أيضاً: أنه سيتم تسليم الجثة لأهله صباح

كمال لطيف سالم

كان المرحوم ناظم الغزالي يحلق ذقنه، فطلب شيئاً من الماء، وحين جيء به إليه سقط على الأرض فأستدعي له أول الأمر الدكتور (البيبر حكيم) الذي فحصه وأوصى بالاتصال بالدكتور شوكت الدهان ليقوم بسحب مخطط لقلبه، والى هنا كان الفنان ناظم الغزالي حياً، ويقول الأستاذ محمد القبانجي عن موت الغزالي:



- لقد أخبرني صديق في مساء يوم الاثنين ان ناظم الغزالي وصل الى بغداد فاتصلت تلفونياً بداره فأجابني من في الدار وطلبت ناظم فأخبروني بأنه ليس على ما يرام فألححت بطلبه على التلفون، وذهبوا واخبروه برغبتي في مكالمته، وجاءني الجواب بأنه في وضع لا يستطيع معه التحرك والحضور الى التلفون، كما اخبروني بان الدكتور البيبر حكيم قد استدعي لفحصه، وانتهت المكالمة التلفونية.

وبعد أكثر من نصف ساعة تلقيت نداء تلفونيا من أحد الأصدقاء يقول فيه: ان الموت طوى حياة ناظم الغزالي.. لم أصدق!! تناولت سماعه التلفون بسرعة وأجريت مكالمة مع بيت المرحوم الغزالي فقبل لي انه فارق الحياة، لم أصدق النبأ فذهبت الى الدكتور توفيق عبد الجبار واصطحبته معي الى دار المرحوم الغزالي فأجرى الفحص عليه فأكد لي انه ميت، ثم جاء الدكتور خالد ناجي وأجرى الفحص عليه فأكد

# ناظم الغزالي أو صوت العراق

علي عبد الأمير عجم

ليس من الصعوبة ان يؤشر الباحث ومؤرخ الادب من هم الذي طبعوا الشعر العراقي المعاصر بلمسات التحديث البارعة، ولا كتاب القصة ولارواد المسرح او الفن التشكيلي. وفي السياق ذاته ليس من الصعوبة على الباحث او الناقد الموسيقى ان يسمي المطرب الراحل ناظم الغزالي كصاحب «حادثة» غنائية، بل انه كان «صوت العراق العاطفي» في القرن العشرين، فآغنياته ساهمت في تكوين «هوية عراقية مشتركة» قلما توافق حولها العراقيون المولعون بالاختلاف حد الاشتباك.



وانطلاقاً من قراءة سوسولوجية لاغنيات صاحب "ريحة الورد"، يمكن تلمس ملامح "الشخصية العراقية"، فثمة في آغنياته إنكسار المحب وحيائه (رقة الكلمات واللحن والاداء المغمم بروحية عاطفية)، مثلما في صوته قوة جهيرة أقرب الى الحدة لو ترك لها العنان. وهذا المزيج الذي يبدو متناقضاً هو أقرب الى ملامح الشخصية العراقية التي تجمع إنكساراً روحياً لجهة الوجدان، و"حدة" في التعبير عن المكونات النفسية تصل الغظاظلة أحياناً. ومثلما آغنياته تتعلق بما تدركه الحياة من مباحج وأمال (الغزل الحسي اليومي)، فانها أيضاً تقارب حدوداً من التأمل والعمق الفكري المجرد (خذ مواله القائم على قصيدة "لما أناخوا" وغيرها من قصائد الشعر العربي القديم)، وهذا الإنتقال من الحياتي اليومي الى التأمل المجرد هو في عمق الدلالي، أقرب الى توصيف حال الانسان العراقي المعاصر في مزجته بين وقائع يومية وتاويلات تطاول الاسطورة والمفاهيم الفكرية المجردة.

في الظاهرة التي شكلها الغزالي يمكن تلمس مكانم العذوبة الروحية (تصويره الفاتن لمشاعر الحب في تجلياتها المكانية البغدادية والعراقية بعامية)، مثلما يمكن تلمس الجرأة في تغيير ما بدا مقدساً من أشكال موسيقية ومنها "المقام العراقي" الذي جعله الغزالي أنيقاً وعصرياً ومتعلماً بعد صورة لازمته طويلاً مؤدو المقام العراقي على الاغلب أميون ومن بيتات ظلت معزولة على يومياتها الداخلية).

هو معشوق نساء الطبقة الوسطى العراقية في أزهى مراحل صعودها عبر قصص الحب المحلقة في آغنياته، لكنه في الواقع يعيش مخلصاً لزوجة تكبره بسنوات كثيرة في إطار علاقة تغلب عليها الرتابة، وهو في ذلك يشبهه عراقيون كثر ممن يبدون مهوسين بقصص حب شائقة لكنهم في أوقات الجد ينتهون الى بيوت الزوجية التقليدية. ومن هذه المفارقة هو أمين في التعبير عن الشخصية العراقية لجهة قوتها وغطستها (ابن العائلة الفقيرة وقد صار نجم المجتمعات العراقية وشاغها) لكنه أيضاً ذلك الوديع حد القبول بزواج من "سليمة باشا" بدا إذلالاً له، وان حاول طبعه باطار عاطفي.

في اوائل خمسينيات القرن الماضي وقف ناظم الغزالي خلف مايكروفون اذاعة بغداد ليؤدي على الهواء مباشرة أول مقاماته: "يا صاح جف الدمع هب لي دمع جاري" واغنية "على جسر المسيب"، وما ان انتهى من غناؤه حتى تلقى كلمات الإطراء والإعجاب والتشجيع من قبل جمهور العاملين في الإذاعة فضلاً عن رائد المقام العراقي المطرب محمد القبانجي، بعدها واصل الغزالي حفلاته الاسبوعية وبمستوى متصاعد من النجاح، فذاع صيته وعرف اسمه، وعلا نجمه في مشهد الغناء العراقي المكتظ حينذاك بمواهب حقيقية، مثلما عرف مؤدياً لفنون المقام العراقي ك"قاري" ×

بحساسية مختلفة.

## روحية جديدة في أداء "المقام العراقي"

وتلك "الحساسية" كانت ظاهرة في أداء الغزالي للمقامات البسيطة ودون أن يقحم نفسه بأداء المقامات الصعبة التي تتطلب مساحة صوتية لم يكن يتوافر عليها، فكان يغني مقامات "الأوج"، "الصبا" و"البهيرزاي" بنكهة عذبة وسليمة، وحين بدا ان حساسيته الموسيقية والغنائية بدت أوسع من "حدود" المقامات وأصولها المحكمة، إتجه إلى الأغنية فأبدع فيها كما أبدع بحسن اختياره لعدد من القصائد، فغنى بحنجره صافية دافئة، عبر قدرة فائقة ورشيقة في اظهار القيم الجمالية في القوالب اللحنية فضلاً عن روحية مرفهة في الأداء.

يذكر الباحث كمال لطيف سالم في مجلة "فنون" العراقية في عددها الثاني والستين الصادر العام ١٩٧٩ أن "البعث يميل إلى أن ناظم الغزالي لم يكن يمتلك القدرة على أداء المقامات الصعبة كالديبات والإبراهيمي لأن طبقة صوته تتلاءم مع المقامات البسيطة لذا اتجه إلى الأغنية"، ومثل هذا الرأي يورثه خبير "المقام العراقي" والباحث هاشم الرجب: "ما يجمعني بناظم الغزالي كوننا من أسرة المقام العراقي، وما أنكره أنه كان مولعاً بمدرسة أستاذه محمد القبانجي، لذا نجده قد ابتعد في حينه عن مدرسة سلمان موشي الذي كان يشرف على تعليم عدد من قرأ المقام... ومع كل ذلك فعلاقة ناظم الغزالي بالمقام علاقة لا

تعدى كونه يغني المقامات البسيطة لعدم وجود قرار في صوته، فصوته جوار وجوار الجواب لذلك نراه لا يجيد المقامات ذات التحارير القرارية التي تحتاج إلى قرار مثل الرست والبيات، فكان اعتماده منصبا على البستات، فلجأ إليها أكثر من المقام. فنفض الغبار عن الكثير من الآغاني القديمة وكلف بعض المعنيين بالموسيقى والألحان بصياغتها وإضفاء روح المعاصرة عليها وبخاصة جميل بشير".

واذا كان الغزالي قد خبر فنون "المقام العراقي" واجادها فان ذلك عائد الى اعتبارين: الاول وكان قائماً على تأثره الكبير بشخصية الرائد محمد القبانجي، فكراً فنياً وسلوكاً، والثاني في استلهامه وبعمق لجزيئات تلك الفنون اللحنية والادائية و"توظيفها" في بناء آغنياته وصوغها، حتى بدا وكأنه اضفى روحاً شابة على اشكال لحنية "عتيقة" ولكن دون التتكر للبناء الفني العميق في تلك الاشكال.

من هنا يمكن الدخول الى الأثر الكبير الذي تركه الغزالي على ملامح الآغنية العراقية التي أخرجها من قالبها التقليدي، فلم يكن ولعه بالآغنية بحدود الأداء، إنما كان بصدد تنفيذ مشاريع كانت تدور في ذهنه حول "تطوير" الآغنية لحناً وأداءً وقرأة ثقافية واجتماعية، ونجح فيما أراد وأدى الإلحان التي قربت الآغنية العراقية من الذوق والأسماع العربية التي كانت تجهل الكثير عن أطر الغناء العراقي، وبدا قريباً من تنفيذ "مشروع" حول تجديد وتطوير معظم

"البستات" والآغاني التي كانت ملازمة للمقام العراقي لولا الموت الذي عاجله وهو في قمة مجده وعطائه.

## وسيم الطلعة بحس أدبي شفاف

ولد ناظم أحمد الغزالي في بغداد في العام ١٩٢١ بمحلة "الحيدرخانة"، لأم ضريبة اسمها جهادية توفيت في عامه الرابع، وفي السابعة من عمره توفي والده الذي كان يعمل خياطاً، فرعاه عمه محمد وكان يصحبه إلى المجالس الدينية و"الجالغيات" (الفرق الموسيقية العراقية التقليدية) التي كانت تقام في المقاهي وبيوت الأغنياء المشهورين، فنضح عنده ميل إلى هذه الطقوس التي يتداخل فيها الموسيقي بالاجتماعي، وفي العاشرة من عمره وبالتحديد العام ١٩٣١ دخل ناظم الغزالي "المدرسة المأمونية الابتدائية"، وعرف بصوته الجميل وبحسن تقليده لرائد المقام العراقي محمد القبانجي، وبدأ يقارب الغناء بحسب ألحان كان صاغ بعضها معلم النشيد في المدرسة وهو رجاء الله زغبى، حتى دخوله "معهد الفنون الجميلة" الذي تركه مضطراً بعد سنتين ليعمل موظفاً في البريد.

وعن هذه الفترة يقول صديقه الشاعر حسن نعمة العبيدي: "عاشت ناظم الغزالي موظفاً بدائرة البريد وشاعت الظروف أن يكون عملي بجوار عمله وكنت أراه دائماً وسيم الطلعة ممثلناً بالحيوية والنشاط، ومع عمله الروتيني إلا أنه لم ينقطع عن الغناء، فقد عرفته مطرباً متميزاً



بصوته الجميل أيام كان البث الإذاعي مباشراً وعلى الهواء، مما جعل أكثر أغانيه تضيع لأنها لم تسجل، وقد شاركته ببرنامجه الترفيهي عن الجيش العراقي في العام ١٩٤٧، وقد كلفني أن أكتب له نصاً غنائياً فتملكني شعور من البهجة والسرور، ذلك انني كنت أعرف مدى مكانته في سمو الاختيار وحسه الأدبي الشفاف إذ لا يقبل الأبيات إلا بعد مطالعتها بجديّة الممارس، وكم فرحت عندما وافق على نصي مع تعديل بسيط قام به".

ومع ان ناظم الغزالي ترك دراسته في "معهد الفنون الجميلة" وانشغل بالعمل الوظيفي لكنه بقي يفكر في العودة إلى دراسة الموسيقى، وقد تم له ذلك في العام ١٩٤٧، وحين عاد ناظم الغزالي إلى معهد الفنون الجميلة لإكمال دراسته، وضمه "عميد" المسرح العراقي حقي الشبلي إلى "فرقة الزبانية للتمثيل". وكان لدراسته التمثيل في معهد الفنون الجميلة الأثر البالغ في تحصيله معرفة باللغة كبناء صوتي وعروضي واداء سليم في نطق المفردة الشعرية وتوضيحها وتجنب ادغامها. كما زوده حضوره لما يزل صيبا ندوات المولد النبوي الشريف بما فيها من اشكال المديح الموقع، بقوة شخصية لتحسس طرق الاداء والانغام والنصوص الشعرية.

وعندما شكلت "فرقة الموشحات" تحت إشراف الفنان السوري علي الدرويش اصبح عضوا بارزا فيها فكان يقدم وصلات غنائية منفردة لنحو ربع ساعة، وهو ما لم يكن يحظى به غيره من اعضاء الفرقة التي كانت واحدة من علامات الغناء العراقي في عقدي الاربعينيات والخمسينيات من القرن الماضي. ومالبت الغزالي ان التقى وديع خونده (سمير بغدادي) الذي لحن له أول أغنية "وين السكاه الراح مني" ولكنها لم تقابل بما تستحق من النجاح، فعاد إلى المقام حتى التقى المرحوم جميل بشير الذي لحن له العام ١٩٥٥ أغنية "فوك النخل فوك" و"وشبان مني ذنب"، فطارت شهرة الغزالي إلى امكنة عراقية لم يكن يصلها عادة مطربو المدينة، كما في الريف والمدن الاقرب إلى البادية.

قدرة الغزالي على ان يكون مبتكرا للفرح والأمل، جاءت عبر مران حياتي طويل، فهو بعد ولادته يتيمًا، عرف سبيله الشخصي إلى ان يكون على مستوى من الحضور الدافئ بين الناس رغم البؤس الذي يعيشه، وكان ذلك عبر إندرجه

سريعا في العمل الوظيفي بعد توفقه عن الدراسة. واحساسه بان مواسم فرح مقبلة لم يكن احساسا من فراغ، فهو شأن شباب جيله (تلك الايام) بدأ يتلمس معادلة مفادها ان الخروج من الوضع الحياتي الشقي ممكن، عبر العمل وبجدية فضلا عن أهمية التحصيل العلمي، ولانه كان على ثقة من موهبته وعلى خطه القائم في صقل تلك الموهبة عبر العمل والدراسة، لذا كان احساسه العميق بالتفاؤل يبدو موضوعيا وطبيعيا، ومن هنا جاءت روح المرح الغالبة على سلوكه وعلاقاته الاجتماعية. وقبل تركه الدراسة واثناء اشتراكه العام ١٩٤٢ في مسرحية "مجنون ليلي"، غنى الغزالي من دون مؤثرات صوتية فأنار الانتباه إلى موهبته الحقيقية: الغناء وليس التمثيل.

### الباحث الموسيقي

والى جانب حساسيته العالية، أدرك الغزالي ان موهبته الصوتية يمكن لها ان تغدو غناء ولونا موسيقيا ينطلق إلى مديات تعبيرية أوسع، ومن هنا جاءت دراسته "الصولفيج" (قراءة وكتابة النوتة الموسيقية) فضلا عن حرصه على تعلم العزف على آلة العود والمثابرة الجادة على التدريب الصوتي. هذه الذخيرة من المعرفة والثقافة الموسيقية مكنته من وضع الألحان لعدد من اغانيه، وتعلمه قراءة النوتة الموسيقية، أفاده في تدوين ما أمكنه تدوينه من الأغاني التراثية، وبذا ولد عند الغزالي مشروع "الباحث الموسيقي"، فهو حين يفرغ من التمارين كان يدون الكثير من الملاحظات التي تتعلق بالأغنيات والمغنين. وكان في مكتبة الفنان الراحل منير بشير، مدون كبير وضعه الراحل الغزالي

وبعنوان "طبقات العازفين والموسيقيين ١٩٠٠-١٩٦٢". يستهله بالحديث عن بعض أولئك الرواد في الموسيقى والغناء أمثال: خضر الياس ورضا علي وناظم نعيم ومحمد القبانجي وآخرين. وكان الغزالي شرع في العام ١٩٥٢ بنشر سلسلة من المقالات في مجلة "النديم" تحت عنوان "أشهر المغنين العرب". ويقال إنه حين توفي كان في مكتبته عشرون شريطا سجل عليها أغنياته كافة وأغنيات المرحومة سليمة مراد. وهناك الشريط رقم ٢١ سجل عليه بعض أغنياته وأغنيات مراد أثناء التمارين في بيتهما.

وفي مكتبته أيضا كراس كبير دون فيه الأغنيات التي أدتها جميع المطربات العراقيات خلال أربعين عاماً بين ١٩١٠-١٩٥٠، وفهرس لأغاني أسناده محمد القبانجي، وفيه نصوص لأربع وستين أغنية مع ذكر السنة التي سجلت فيها تلك الأغاني على الأسطوانات. وفي دفتر آخر دون عناوين أشهر المخطوطات العربية في علم الموسيقى والغناء تلك الموجودة في محتويات مكتبة المتحف العراقي مع ذكر أرقامها وبعض الملاحظات حول كل مخطوط. كما دون الغزالي معلومات عن الأغنيات التي أداها "الجالغي البغدادي" على مدى سبعين عاماً من ١٨٧٠-١٩٤٠، مع معلومات تشير إلى عدد الذين أدوا كل أغنية وما كان منها مسجلاً على الاسطوانات وفي سجل كبير آخر نجد الراحل الغزالي كتب المقامات العراقية المؤداة وطريقة غناء كل منها. ومثلما كانت وفاته خسارة لصوت عذب في افضل مراحل نضجه، كان غيابه فقداناً لجهد في الدراسة والبحث، ومع مواسم تدمير الذاكرة العراقية بات من الطبيعي ان تغيب جهود بحث ثرة وقعتها

صاحب الإطلالة الأنيقة النادرة في مشهد الغناء العراقي.

وفي سياق وعيه الفني الموسيقي المرفه والرفيع في أن، كان الغزالي أول مطرب عراقي يغني رفقة فرقة موسيقية خاصة به فضلا عن كونه ممن وجدوا في "الأوركسترا" الكبيرة قدرة على اظهار التفاصيل النغمية في الألحان، فادخل الى جانب الآلات التقليدية الآلات الهوائية مثل: السكسفون، الكلاريت، والآلات الوترية الغليظة مثل التشيلو والكونتر باص، والإيقاعية مثل "البانغور" و"الكونغو". وشكلت الفرقة الموسيقية التي اصبحت ملازمة لحفلاته داخل البلاد وخارجها، تجمعا لافضل موسيقيي العراق وعازفيه فكان رفقته: جميل بشير، منير بشير، غانم حداد، سالم حسين، خضر الياس، وروحي الخماش فضلا عن واضع ألحان عدد من أغنياته، الملحن ناظم نعيم. وفي شكل الأداء، وضع الغزالي لمسات ظلت دالة عليه لجهة حركاته وإيماءاته أثناء الغناء، وجاءت تلك الحركات منسجمة مع النسيج الوجداني والنغمي للأغنيات، ولم تكن استعراضات خارجية، وبدت تلك الإيماءات تعبيراً صادقا عن التفاعل الإنساني والوجداني الذي يبديه الغزالي مع جمالية النغم وتأثير المفردة الغنائية.

عناصر "الحداثة" في تجربة الغزالي مطربا وصاحب مدرسة غنائية، لم تكن استعارة خارجية، بل ان تيار التحديث الذي كان يعيد بناء المجتمع العراقي (وبشكل خاص قبل نموز ١٩٥٨) في مجالات المعرفة العلمية والثقافية والفكرية، هو الذي شكل الإطار الطبيعي والمتناغم مع ألحان أغانيه وموضوعاتها القائمة على تجاوز التكرار والتتابع السائدين في اللحن العراقية، فضلا عن مقارنته وجدانيات لم تكن الأغنية العراقية قاربتها، خذ أغنية "تصبح على خير" مثلا، لتجد عالما جديدا أكثر تفاؤلا وأملا، عالما يحض على الجمال المطبوع بحياة نظيفة تتسع لطيف عاطفي واسع، وليس عاطفة المرأة والرجل بالضرورة.

ومن الملامح التي لا يمكن اغفالها في "الظاهرة" الغنائية التي شكلها ناظم الغزالي، هي تلك الانتقالات من اعمال غنائية "عادية" إلى مرحلة الصياغات الرقيقة في نصوص اعتمدت انتقاء المفردة الجميلة الذكية الراقية التي تدعو إلى الحب والجمال واللقاء بعيدا عن "البكائية" والنواح التقليدية في الاغنية العراقية. وعبر مثل تلك النصوص الغنائية من المفردات "الدارجة" العراقية والاقرب إلى العربية الفصيحة، تمكن الغزالي من عبور "المحلية" ووصل إلى قطاع عريض من الجمهور العربي.



من كتاب في سوسيولوجيا الاغنية"

# ناظم الغزالي: كأنها سيرة على مقام لامي

عمر الأسعد

مع حلول الذكرى الحادية والخمسين لرحيل الفنان العراقي ناظم الغزالي (١٩٢١ - ١٩٦٣)، يوم غد الخميس؛ تبدو السيرة الشخصية والفنية الكثيفة لصاحب "طالعة من بيت أبوها" مغرية للبحث فيها والحديث عنها. فالرجل لم تأخذه عائلته من يده إلى لجنة تحكيم في برنامج للهواة، لأنه ببساطة ولد يتيم الأب في أسرة معوزة، وما لبثت أمه الكفيفة أن رحلت أيضاً بعد سنوات. كما أنه لم ينجح بعد أن تبنته شركة اتصالات بكثافة الرسائل النصية التي تزكي الفن في العالم العربي اليوم، بل بجهد فني وثقافي، وعمل مكثف في تاريخ الموسيقى العراقية ودراساتها، بعد إتمامه دراسته بصعوبة، بسبب سوء أوضاعه المادية، التحق من سيّعرف لاحقاً بـ "سفير الأغنية العراقية" بـ "معهد الفنون الجميلة"، قسم المسرح، هناك.



جواد غلوم جواد

منذ اول عهدي بعملتي في الصحافة خريف عام ١٩٦٩ وانا في المرحلة الاولى بكلية الاداب / قسم اللغة العربية اختار لي رئيس التحرير ان اكتب موضوعا عن المطرب الكبير ناظم الغزالي ( ١٩٢١—١٩٦٣ ) وقال لي ضاحكا وهو يرمّ عابرا غرفتنا الصغيرة باتجاه مكتبه القريب منا : هذا الاقتراح الذي اقول له لك من وحي ما تسمعه أنت من أغاني الغزالي في جهاز تسجيلك الحديث ( الكاسيت الذي اشتريته أول نزوله الى أسواق بغداد حتى وأنت مكب على القراءة والكتابة ولم تعبا من إرهاق ميّزانية جيبك وأنت في أول خطواتك للعمل معنا .

فرحت كثيرا وأحسست ان ما اسمعه هو مبعث سُعدي وانا أتجاوز العتبة الاولى من صرح الصحافة العالي وقررت ان يكون موضوعي عن هذا المطرب المتفرد اللامع الذي جن جنوني لصوته وعليّ ان أنهب ملاعب صباه في أحياء منطقة " الحيدرخانه " وأكتب مقالتي ميدانياً قريبا من عقر داره .

أخذت حقيقتي وفي داخلها اوراقى واقلامي وانسللت الى أزقة الحيدرخانه سائلا عن بيت محمد ناصر الغزال / اسم ناظم الغزالي الحقيقي فأجابني احد عارفيه وصديق فتوته وجاره القريب من بيت أمه :

عن اي بيت تسأل يا هذا !! ، وهل محمد ناصر اليتيم الابوين منذ اول عهده بالفتوة كان له ماوى ثابت استقر به ايها الصحفي اليناع ، هذا طائر غزيب لا يقف على شجرة او جدار الا وينتقل الى اخر ، فقد تنقل من بيت الى بيت هائما هنا وهناك

صياغة المخارج الصوتية وبين قدراته الموسيقية. بعد نهبه مع مجموعة من الفنانين العراقيين مساندة الجيش العراقي في فلسطين عام ١٩٤٨، عاد الغزالي ليتابع دراسته الموسيقية على يد الموسيقار محمد القبانجي، ويدرس العود مع الموسيقار الفلسطيني روجي الخماش، ويتعاون بعد ذلك في دراسة الصولفيج مع جميل بشير الذي جدد معه في توزيع الأغاني العراقية وتحريها من شكلها التقليدي. تكتمل ملامح شخصية الغزالي عند الاطلاع على المقالات التي كتبها في "جريدة النديم" تحت عنوان "أشهر الموسيقيين العرب"، ثم أتبعها بكتابه "طبقات العازفين والموسيقيين، من سنة ١٩٠٠ إلى ١٩٦٢". وفي هذه الكتابات، أرّخ الفنان لأسماء العازفين والموسيقيين العراقيين والآلات التي كانوا يعزفون عليها. لفت الغزالي نظر الموسيقار محمد عبد الوهاب بموهبته، وبدأ بالتأسيس لمشروع موسيقي مشترك، لكن وفاة صاحب "أقول وقد" المبكرة حالت دون ذلك

عن العربي الجديد

## ما لم يُرو عن حياة ناظم الغزالي

الشخصيات المركبة والمزدوجة والتجريدية والغريبة الاطوار وقد رأى فيه حقي الشبلي مستقبلا باهرا وضّمه الى فرقته الشهيرة "الزبانية" لكن الرياح جرت وفق ما تشتهي قلوب واسماع المتلقين حينما طالبوه بوصلات غنائية كلما اعلى خشبة المسرح وظل يغني إكراما لمحبيه وتنفيذا لمطالبهم .

كما برع ناظم في الكتابة الصحفية وظل ينشر مقالاته التي وصفت وقتذاك بأنه من الماهرين في اجادة الصياغة الكتابية وفق منظور اللغة الثالثة او ما تسمى الان باللغة البيضاء باعتبارها مزيجا من الفصحح تتخلله البساطة والاسترسال الواضح بحيث يسهل على القراء بمختلف مستوياتهم فهم واستيعاب مايقروا من صحيفه ( النديم ) تحت عنوان اشهر المغنين العرب يدرك مدى تفوقه ووضوح اسلوبه وخزينة ثقافته الفنية وهو يستعرض حياة وميزات المطربين والموسيقيين الذين برزوا في العراق بدءا بزوغ القرن العشرين حتى بداية الستينات من القرن الماضي حيث كانت اول مقالة فنية تاريخية ينشرها الغزالي في الصحيفة المذكورة سنة / ١٩٥٢ وتلقتها مقالات فنية اخرى طوال عقد من السنوات ولم توقفه مشاغله الفنية وكثرة الحفلات التي كان يشارك فيها وسفاراته العديدة الى مختلف الاقطار من الاستمرار في الكتابة والتواصل مع الصحافة التي كان يعتبرها تتوافق مع مسيرته الغنائية ، بل سعى الى تجميع كل ماكتب في النديم ليضمها في مؤلف شهير سماه طبقات العازفين والموسيقيين كان ينوي طبعه قبيل وفاته .

ذلك هو ناظم الغزالي مطربا صاعدا ونجما متألقا في عالم الغناء الطربي وأديبا مقابلا من الطراز الرفيع ومؤرخا للفن السماعي غناء وعزفا وممثلا ليلت الانظار ، مات وحيدا ببيته صبيحة يوم خريف من تشرين الاول عام / ١٩٦٣ بعد رحلة فنية مضيئة الى اوربا حيث حط رحاله في لبنان لفترة وجيزة ثم التوجه بسيارته الى بغداد إذ استقر اول وصوله لبيته متعبا بعد سفرة اوربية ناجحة لكنها جد متعبة وشاء الموت ان يأخذ منا ومن رفيقة عمره وهو مازال غضا في اول الاربعمينات من عمره حيث مضى رائق الاصوات الى العالم الاخر وكان الصدوح العذب ليس له عمر مثل عمر الاندال واللام والسطحيين ممن يسمون أنفسهم فنانيين الذين ملأوا ساحاتنا الفنية أعمالا هابطة رفة فاقدة للمتعة والجمال والفائدة المرجوة .

حينما يلبس أجمل الازياء لنفسه واضعاً وردة جميلة في صدره تناسب ربطة عنقه وبدلته المنتقاة وفقا لذوقه الراقي المائل لرفقي أغانيه .

وعلى اثر هذه الشهرة انهالت الدعوات اليه لاقامة الحفلات في معظم العواصم العربية والاوربية ونظم رحلات فنية الى الولايات المتحدة وفرنسا وايطاليا ودول اخرى ونال نصيبا وافرا من الانتشار والذيع وتودد اليه الكثير من صنّاع الفن والشعر وانهالت عليه العروض من قبل متعهدي الحفلات لكنه لم ينكح ابدا وبقي صلب العود وأخذ صوته يشيع اكثر فأكثر .

لم يتزوج ناظم الغزالي الامرة واحدة وتعلق بقلب المطربة سليمة مراد التي تكبره بأكثر من عقد من السنوات وهو يخطو في اول الثلاثينيات من عمره وبقي محافظا على عهد زواجه الذي استمر قرابة العشر سنوات بالرغم من التقاف الكثير من المعجبات حوله وتودّد الفنان العربيات له وكانت عفته واخلاصه لرفيقة عمره سليمة الباشا مثلا يحتذى سيما وانا نعرف ان الوسط الفني لا يخلو من الميل والانجذاب وتبادل الحب بل وكثرة الفصائح بين الجنسين ، وقصة زواج الغزالي معروفة لدى العراقيين حيث التقيا في حفل باحد البيوتات البغدادية صدفه وتبادل نظرات الإعجاب وازداد ميلهما لبعض بعد ان أديا وصلتهما الغنائية فولدت قصة الحب غير المتكافئ عمرا في العام / ١٩٥٣ لكنه كان خبير كفاء للعريس الذي ارتضى بهذه الفنانة القديرة ذات الصيت الذائع ونهل الكثير من تجاربها الفنية في غناء المقام العراقي وأصوله ونظمه الفني ليزيد من ثرائه الغنائي ثراء آخر . اما ما يشاع من ان هذه الفنانة قد دبّرت مكيدة قتله وانها السبب في انتهاء حياته وهو في بداية العقد الرابع من عمره فلا تعدو كونها ضربا من الهراء والكذب وهو الذي كانت ترى فيه زوجا وحببا وأنيسا وهي تتقدم في العمر وليس لها سواه ظلا ظليلا لها حتى انقصم ظهرها وهزل عودها وبقيت أسيرة الوحدة بعد موته وعزلت نفسها عن المجتمع الفني تماما واستقرت في بيتها مانعة أي فرد من الاسرة الصحفية من الاقتراب منها او اجراء مقابلة معها واندكر اتي وقتها بذلت مافي وسعي لاقتناها بمقابلتي والحديث معي بعد وساطات شتى ولكن ذهبت كل مساعي في الدنو منها ادراج الرياح ولم تقابل احدا من الصحفيين حتى ماتت وحدها كندا وحزنا على رفيق حياتها ببيتها اوائل السبعينات من القرن الماضي .

قد لا يدري البعض من القراء ان الغزالي امتهن التمثيل قبل الغناء في بداية حياته الفنية وكان بارعا في تقمص اية شخصية بما في ذلك

مثل رياح لاستقرّ في اي مكان ؛ فمرة تراه يزور امه العمياء هناك وهو يشير الى غرفة متهالكة في احد الازقة ويقيم معها ربحا من الزمن ، وأخرى يأوي الى دار عمه السيد محمود غزال غير البعيد عندما ماتت امه وهو في السادسة عشر من العمر ، لكن هذا العم لم يطقه نظرا لتوجهاته الفنية الواضحة في مسلكه حتى أنه حين اكمل الدراسة المتوسطة بصعوبة بالغة بسبب الفقر المدقع انضم الى معهد الفنون الجميلة ؛ ولما علم عمه بتوجهه الدراسي نحو الفن طرده شر طردة ؛ فهو لا يريد ان يحوي في بيته على ممثل أراجوز على حد وصفه فيكون أضحوكة للناس ، فاضطر محمد اليتيم المتيم بالفن الى حزم حقيبته الرثة القديمة ليطلق باب شقيقه ويتوسل اليه ان يأويه حتى اكمل دراسته في المعهد ونارة اخرى يضطر الى الإقامة والسكن في بيت خالته السيدة " مسعودة " التي كانت في بعض الاحيان تقوده بنفسها لتوصله الى المدرسة المأمونة الابتدائية وظلت تؤدي دور شقيقته الام في مرحلة دراسته الاولى .

وبشق الانفس استطاع ان يكمل دراسته في معهد الفنون الجميلة في قسم المسرح سنة / ١٩٤٨ وانضم الى فرقة الزبانية التي كان قد أسسها الاستاذ الفنان نوري الراوي ( وهو غير التشكيلي نوري الراوي ) سنة / ١٩٤٧ وبعد الراوي صار يديرها الفنان الكبير حقي الشبلي ومثل في عرضين هما " أصحاب العقول " و " فتح باب القدس " ولفت انظار متابعي ومتلقي العروض المسرحية حيث كان دوره يتطلب اداء وصلات غنائية خلال تقديم ادواره التمثيلية فأبهر السامعين بما قدمه من تجديد غنائي غير مألوف بسبب تأثره بالمشححات الاندلسية واضفاء سمات الموشح وتولوين جماليته في اصناف المقامات وتأثره الواضح بموسيقى جميل بشير الحداثوية المتكررة لكنه في نفس الوقت أغضب مقلدي المقامات العراقية الصارمين والتقليديين واتهموه بتغريب الاغنية التراثية العراقية واللامبالاة في الايقاعات الثقيلة التي يتسم بها الغناء العراقي القائم على المقام حتى اتهموه بالضعف والارتخاء وضعف صوته وعدم قدرته على اجادة الغناء التقليدي المقامي القديم لكنه لم يعبا بأثاماتهم واستمر في تجديده حتى بلغ اسماع العرب بشدوه الجميل المبهر وبلغت حنجرته كل الوطن العربي من مشرقة الى مغربة لا بل وصلت انغامه المستساغة الى شعوب الشرق غير العربي حتى سُمي سفير الاغنية العراقية بلا منازع ليس بصوته فحسب انما ايضا بياناقته المتميزة وطلعته البهية وحضوره الملفت لما يمتلك من كاريزما جذابة واختياره عطره المنتقى بعناية



# عندما ناحت حمامة ناظم الغزالي

فيصل الياسري



كان عام ١٩٦٣ جليلاً وفاجعاً بالنسبة لناظم الغزالي ، ففي هذا العام استطاع عن طريق المصادفة وان يسجل معظم اغانيه تلفزيونياً في الكويت ، قبل ان تنتهي حياته القصيرة ( كان عمره ٤٢ سنة فقط ) عندما قطعت اذاعة بغداد برامجها يوم ٢١ / ١٠ / ١٩٦٣ لتعلن خبر وفاة ناظم الغزالي العائد قبل يوم برا من بيروت !

فرددت شوارع بغداد ( مات ناظم الغزالي ) واندفعت الحشود لتشييعه بحزن عميق تشهد على ذلك اللقطات الوثائقية التلفزيونية المتوفرة !!

في ذلك العام التقيت بناظم الغزالي ، قبل وفاته بأسابيع ، كان في جولة اوروبية قادمة الى فيينا ، وكنا نلتقي في مقهى ممر الاوبرا ، كان يجلس هناك مع زوجته الفنانة سليمة مراد ، او سليمة باشا كما كانت شهرتها ( ويقال ان هذا اللقب منحه اياها الملك فيصل الاول ) كانت تكبره بعشرين سنة ، وتعامل معه بغيرة شديدة متعبة لهو مع ذلك كان يتعامل معها بلطف وهدوء ( امامنا في الاقل ) ولا تتخيه تعليقاتها واعتراضاتها عن متابعة الحسان بنظراته وهو يعبت بطرف ربطة عنقه الفاقعة الالوان !

عرفت الغزالي رقيق الكلمة، حلو الابتسامه، قليل الكلام يتحدث عن زملائه الفنانين باحترام، واستطيع ان اقول عنه انه خجول خاصة امام النساء ، بينما يتسم بالشجاعة امام الجمهور سواء على المسرح أو في الحفلات الخاصة !!

لقد كان ناظم الغزالي شديد الاعتناء بهندامه ومظهره ، وهذا واضح على ما لدينا من تصوير لأغانيه !! وكان يسره ان يتفرج على واجهات الملابس الرجالية ، ولم يكن يعيد الى ملابس السبورت وكان بالرغم من موسم الصيف في فيينا يحرض على ارتداء البذلة الكاملة ولا يستغني عن ربطة العنق ..

وفي احد الايام اطل علينا بسفرة ببضاه زيناها بمنديل كبير في جيب الصدر يتناسب مع ربطة العنق العريضة ، وقال بصراحة وعفوية انه منذ طفولته كان يحلم بسفرة ببضاه مثل تلك التي كان يتباهى بها جار لهم في محلة الحيدرخانة ببغداد !

هناك كانت ولادة ناظم الغزالي عام ١٩٢١ لعائلة فقيرة ، توفي ابوه مبكراً قربته امه الضريرة وكانت تسكن في غرفة متواضعة عند شقيقتها في منطقة "الحيدرخانة" ، اكل دراسته الابتدائية والمتوسطة، في المدرسة المأمونية، بصعوبة وكان الفقر ملازماً له ويقول ان امه كان عليها ان تدبر عيشتهم بدخل لا يتجاوز الدينار والنصف شهرياً ، وبعد وفاتها تكفله خاله الفقير مثلهم !!

في احدي جلسات الدردشة والسمير قال لي ناظم الغزالي ( تدري اني بدأت حياتي ممثلاً .. حتى اني درست التمثيل بالمعهد !! وكان استاذي حقي الشبلي !! بس الحاجة والعيشة خلتنى اترك الفن واشتغل بمعمل للطحين !! )

أبعدته الظروف عن المعهد، لكنها لم تمنعه من استمرار اهتمامه بالفن والثقافة وحفظ اغاني كبار مطربي ذلك الوقت !!

لم اكتشف في ذلك اللقاء فقط ان بداية ناظم الغزالي كان ممثلاً بل اكتشفت ايضا انه كان كاتباً مثقفاً حيث نشر عام ١٩٥٢ سلسلة من المقالات في مجلة " النديم " تحت عنوان " أشهر المغنين العرب " ( وقد قرأت للكاتب ماجد حبيته ان ناظم الغزالي اصدر كتاباً بعنوان ( طبقات العازفين والموسيقيين ) وقد حاولت العثور فيما بعد على نسخة من هذا الكتاب فلم اجده ولا حتى على ارفصة شارع المتنبي )

عاد ناظم الغزالي إلى معهد الفنون الجميلة لإكمال

دراسته، فيضمه حقي الشبلي إلى فرقة "الزبانية" ويشركه في مسرحية "مجنون ليلي" لأحمد شوقي، وعلى المسرح قدم الغزالي اول اغنية له ( هلا هلا ) والطريف انها كانت من تلحن حقي الشبلي ، وكانت هذه الاغنية هي سبب دخوله الى الاذاعة وترك التمثيل واحتراف الغناء اما ثاني اغانيه فكانت من تلحين وديع خوند ومطلعها ( وين الكه الراح مني وأنا المضيع ذهب .. وراحت السلة من ايدي وراح وياها العنب ) وترجمتها لمن لا يفهم العامية العراقية : ( اين اجد الذي فقدته وهو من ذهب .. ولقد ذهبت السلة من ايدي ومعها ذهب العنب ) .

بعد هاتين الاغنيتين انظم بين عامي ١٩٤٧ و ١٩٤٨ إلى فرقة الموشحات بإشراف الموسيقار الشيخ علي الدرويش ، ويقول خبراء الغناء في العراق ان الفضل يعود الى ناظم الغزالي في تطوير الاغنية العراقية التي شهدت قفزة نوعية مع مطلع الخمسينيات في غالبية مقاييس الغناء العراقي ومواصفاته ، حيث ظهرت الاغنية العراقية المتكاملة الموزعة والمتناسكة والتي يرجع له فضل انتشارها في العالم العربي رغم خروجها من بيئة ذات طبيعة شديدة الخصوصية، بفعل اداء ناظم الغزالي غير التقليدي، ليجعل منها اغنية عذبة سهلة التداول والحفظ.

وما زال الناس يرددون حتى الان اغاني " طالعة من

بيت ابوها " ، و " ما اريده لعلوبي " ، و " فوق النخل

فوق " ، و " يم العيون السود " .. وجميع هذه الاغاني

كتبها جبوري النجار، ولحنها ناظم نعيم، ووزعها

جميل بشير، ويعود الفضل في حفظها إلى شركة

" جقماقجي " التي بدأت منذ منتصف خمسينيات

القرن الماضي في تسجيل أسطوانات كبار المطربين

والمطربات العراقيين ، قلت ان عام ١٩٦٣ كان حافلاً

بالنسبة لناظم الغزالي ، ممثلنا بالنشاط وكأنه كان

يعرف انه عامه الاخير .. كانت فيينا بالنسبة له محطة

استراحة ، وكانت زوجته سليمة باشا تطلب منه ان

يؤجل بعض مشاريعه ، كانت تعامله كما تعامل الام

ابنها ، ولكنها معاملة لا تخلو من بعض الخشونة .. لا

تخلو من بعض سلطة الزوجة التقليدية !!

وفي فيينا احتفلنا معهم بمناسبة الذكرى العاشرة

لزواجهما ، وعلمنا يومها انها تعرفنا على بعضهما عام

١٩٥٢ في احدى السهرات الغنائية التي كانت تقام في

بيوت بغداد الراقية .. وكان معجبا بأداء سليمة مراد

التي كانت تمتلك صوتاً ساحراً وقابلية مدهشة في

أداء الأغاني التراثية ويقال انها كانت معلمته في حفظ

السوان الغناء العراقي وخصوصاً المقامات والبستات

!! وقد اقترن بها ناظم الغزالي عام ١٩٥٣ ومن خلالها

استطاع التعرف على الطبقة الأرستقراطية البغدادية

المحبة لحفلات الغناء .. وأصبح ناظم وسليمة الغنائي

الغنائي المحبوب والمتألق دائماً في جميع الحفلات

العامة والخاصة وأصبح بيتهما صالوناً فنياً أدبياً

يلتقي فيه الشعراء والفنانون !!

كان على ناظم الغزالي ان يسافر الى بيروت

لتصويرمشاهده في فيلم ( مرحباً ايها الحب ) مع

نجاح سلام حيث غنى ( يا ام العيون السود ) .

بسبب هاتين المناسبتين ، ذكرى الزواج والسفر الى

بيروت ، وافق ناظم الغزالي على تنظيم سهرة سمر

خاصة ضمت عدداً من الاصدقاء العرب في فيينا أنشد

فيها - بعد الحاح شديد وبمرافقة احد هواة العزف

على العود وطبيب مصري كان يحسن مسك الايقاع -

أنشد من تراثه العراقي وأسعده ان يجد الضيوف

العرب يطلبون منه اغاني معينة يعرفونها منه - في

ذلك الزمان لم يكن التلفزيون قد انتشر ليشهر المطربين

، ولا الفيديو كاسيتولا حتى الكاسيت الصوتي العادي

- وغنى بلغة عربية سليمة أروع القصائد العربية

التي تدل على معرفة واطلاع واسعين .

غنى لأبي فراس الحمداني: " أقول وقد ناحت بقربي

حمامة " ، وللبهاء زهير " يا من لعبت به شمول " ،

ولإيليا أبي ماضي: " أي شيء في العيد أهدي إليك

وللمتنبي: " يا أعدل الناس " ، وللعباس بن الأحنف " يا

أيها الرجل المعذب نفسه " !

# في مئوية ناظم الغزالي

علي حسين

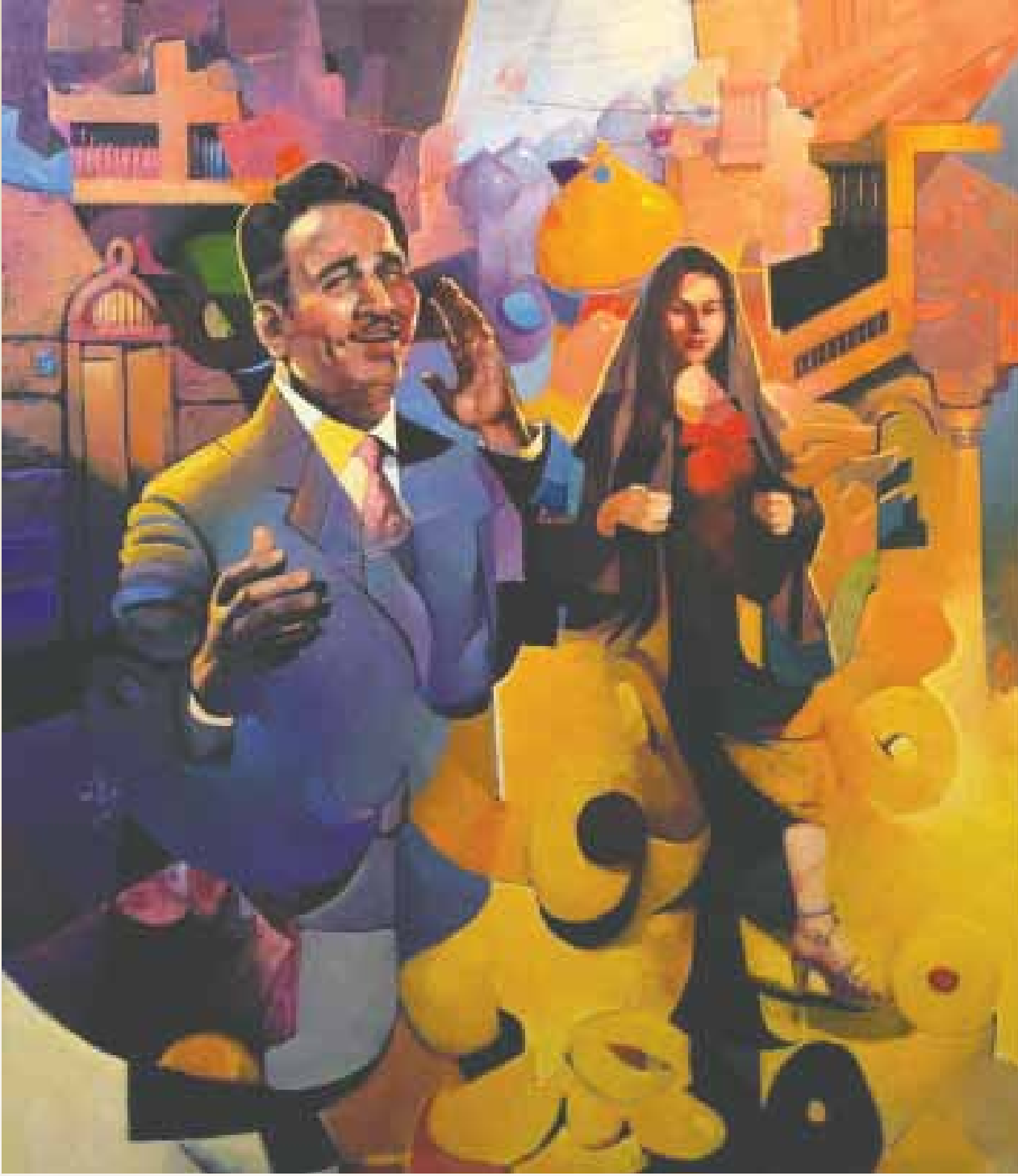
في مثل التاريخ قبل مئة عام بالتمام والكمال ولد مواطن عراقي يدعى ناظم الغزالي: فقيراً، الأم فاقدة النظر.. والأب بالكاد يستطيع توفير لقمة العيش لأطفاله، فقرر عمه أن يتكفله، بعد أن عاش فترة في بيت خالته.. عاش مع أحلام أن يصبح موظفاً ليرمي الفقر وراء ظهره، ولم يكن يدرك أنه سيصبح لهما بهجة في نفوس العراقيين، وأنه سيصيد لهم حكايات الحب مع رفيق رحلته المسيحي ناظم نعيم وهما يقدمان للعراقيين "طالعة من بيت أبوها" و"أحبك وأحب كل من يحبك" و"يم العيون السود" و"مروا علي الحلوين"، التي نتأملها كل يوم ونكتشف كيف كانت الناس تجد في هذا المطرب أفراسها ومسراتها وأحزانها وشكوى عشاقها، ومثلما نتأمل في أفراس ومسرات وذكريات الأغنيات التي انشدها، نتذكر هذا الصبي الذي ولد في زقاق بغداد يذكريك بالازقة التي رسمها مبدع عراقي آخر اسمه غائب طعمة فرمان الذي هام حبا ببغداد، لكنها ادارت له ظهرها واستكثرت ان تسمي احدي شوارعها باسمه، مثلما استكثرت على ناظم الغزالي ان يكون له تمثال في احدي ساحات بغداد، في هذه المدينة التي كانت تحتل شوارعها المضاء أسماء ملوك وشعراء، في هذه المدينة التي كانت تتطلع إلى المستقبل بعيون مفتوحة علقت الشواهد على شوارعها الرئيسة، المتنبي، أبو نواس، ابن سينا. تلك، كانت بغداد في الأربعينيات. والقادمون يأتون من قريب ومن بعيد، يغنون، ويعشقون، ويحلمون بيوم يصبحون فيه أبطالاً، قادرين على العيش برفاهية. سيحل ناظم الغزالي بعراق هادئ، أنيق، طافح بالأمل.

ناظم الغزالي كان مغرمًا بما يغني ويدندن، يعتقد أن الاغنية ستصو الفن سيمصنعان بلداً يكون ملكاً للجميع، ومجتمعاً آمناً لا تقيد حركته خطب وشعارات ثورية، ولا يجرس استقراره سياسة يسرقونه كل يوم، عاش أسير أحلامه، متقللاً في الألحان، لينتهي بأزمة قلبية..

لم يكن ناظم الغزالي يدرك أنه سيوحد العراقيين بأغنيته "فوك النخل" وأن عيونهم ستدمع كلما يسمعون ناظم الغزالي يقول: "مدي لمع خده يابه مدي لمع فوق".

نكتب عن الماضي وننأسى عليه، لأن الجديد الذي نعيشه باهت، بلا لون ولا طعم، ونبحث عن الذين صنعوا لنا الفرح، لأن الذين نعيش معهم اليوم لا يجلبون لنا سوى الهم والغم. ونتمنى أن تصبح دولة سوية تكرم الذين يستحقون التكريم، ولا تتشغل بالبحث عن تقلبات عالية نصيف ووساوس هيثم الجبوري، وتفاين جمال الكربولي

مات ناظم الغزالي بعد أن أثقلت حياته الأفراح والأحزان، اختبأ وراء جدران الفن، لكن أغنياته ظلت تطل علينا توزع الفرح والأمل وتحيي الشجن في القلوب التي يريد لها اليوم ان ترتدي السواد.



اللوحة من مدونة محمد النجار

## اجمل حنجرة عراقية

فيه أغاني ناظم تعتمد في أغلبها على الايقاع الرشيق السريع مع ظهور بعض الآلات الموسيقية التي لم تعد الأذن العراقية على سماعها. أما قراءاته فجعلته يمتاز عن زملائه بثقافته، تلك الثقافة التي ظهرت عام ١٩٥٢ حين بدأ ينشر سلسلة من المقالات في مجلة النديم تحت عنوان (أشهر المغنين العرب)، وظهرت أيضاً في كتابه (طبقات العازفين والموسيقيين من سنة ١٩٠٠. ١٩٦٢)، كما ميزه حفله السريع وتقليده كل الأصوات والشخصيات، وجعلته طوال حياته حتى في أحلك الظروف لا يتخلى عن بديهته الحاضرة ونكتته السريعة، وأناقته الشديدة حتى في الأيام التي كان يعاني فيها من الفقر المدقع.

من مقال نشر في مجلة الف باء 1984

العربية. تأثر الغزالي بحنجرتين، حنجرة الموسيقى محمد عبد الوهاب وحنجرة المطرب حسن خيوكة، اذ يعتبر الغزالي المطرب العراقي المفضل في لفظه للقصيد الغنائية، حيث غنى من ألحان الفنان الكبير سمير بغدادي (وديع خوند)، وغنى أيضاً من ألحان ناظم نعيم الذي لحن له أكثر اغانيه وأيضاً روجي الخماش، كما غنى الفولكلور العراقي والعربي معاً، وعلى امتداد السنوات التي شغلها فن ناظم الغزالي، فقد استطاع أن يكون الصوت الأول في مجال الغناء على المستوى العربي.

عند ظهور ناظم اتجهت الأذن العراقية الى سماع نمط جديد من الغناء العراقي الذي يختلف جملة وتفصيلاً عما طرح من غناء في تلك الفترة حيث ان تلك الأغاني كانت تعتمد على الايقاع البطيء في الوقت الذي كانت

### عادل العاشمي

يبقى ناظم احد الأصوات الخطيرة في الغناء العراقي إن لم نقل إنه اجمل حنجرة عراقية ظهرت في تاريخ الغناء العراقي الحديث، مع إنه يعاني من ثغرة فنية وهي إن صوته لا يمتلك القرارات (التي يسميها اهل الشام الأراضي).

أن "الغزالي عبر صوته الذي تميز بالشجو والتعبير والفصاحة وإبانة الحروف واللفظ القائم على موسيقى البيت الغنائي يستطيع أن يؤدي بعض المقامات العراقية التي لا تحتاج الى تحرير، واستطاع أن ينقل بعض المقامات العراقية من صعيدها المحلي البغدادي المحض الى آفاق الأسماع

عراقيون

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

